Al-Tarikh Va Al-Hazarah Al-Islamiyah
Royat Al-Mu'asirah
ISSN: 2783-5154

Jaʿfar ibn Abī Tālib in Historical Sources with Emphasis on General History*

Mohsen Ghanbari Nik[1] **Hakimeh Ehsani**[2]
1. Assistant Professor, University of Islamic Teachings, Qom, Iran.
Ghanbarinik@maaref.ac.ir
2. Ph.D. Student in Islamic History, University of Religions and Denominations;
Level Three Seminary Student, Qom, Iran.
h.ehsani94@gmail.com

Abstract

Jaʿfar ibn Abī Tālib, one of the earliest Muslims and a steadfast companion of the Prophet (PBUH), is recognized as a pioneering and influential figure in Islamic history. He held key roles such as leading the Muslims in Abyssinia, commanding the army at the Battle of Muʾtah, and serving as an effective preacher, earning the epithet Jaʿfar al-Tayyar. Being the brother of Imam ʿAlī (peace be upon him) and due to his devoted efforts in Islam and his social and familial position, he occupies a distinguished place in Islamic history. This study aims to answer the question: How is the personality of Jaʿfar ibn Abī Tālib depicted in general historical sources? The research employs a descriptive-analytical method with a focus on character analysis. Data and information were collected from library sources. Findings suggest

* Ghanbari Nik, M.; Ehsani, H. (2025). Jaʿfar ibn Abī Tālib in Historical Sources with Emphasis on General History. *Al-Tarikh va Al-Hadarah al-Islamiyah; Ruyat al-Mu'asirah*, *5*(3), pp. 278-308.
https://doi.org/10.22081/ihc.2025.73304.1099

▣ **Article Type:** Research; **Publisher:** Islamic Sciences and Culture Academy
▣ **Received:** 2025/07/04 ●**Revised:** 2025/08/23 ●**Accepted:** 2025/10/14 ●**Online publication:** 2025/06/10

© 2025
authors retain the copyright and full publishing rights

that historical sources, in addition to describing his personal qualities, also emphasize his social character, which can be divided into two main sections: 1. Pre-Islamic Period: The Jaʿfar family, his social position, and his reputation as Abu al-Masākīn. 2. Islamic Period: Divided into three phases—Meccan, Abyssinian, and Medinan: Meccan Period: Conversion to Islam, steadfastness, and migration to Abyssinia. Abyssinian Period: Serving as the Prophet's envoy, leadership, and protection of the emigrants. Medinan Period: Arrival in Medina, performing *Dhu al-Hijratayn*, guardianship of Hamzah's daughter, commandership, reciting battle chants, and martyrdom as recorded in general historical sources.

Keywords
Islam, Jaʿfar al-Tayyar, personality, Dhu al-Hijratayn, commandership, Battle of Muʾtah, general historical sources.

التاريخ والحضارة الإسلامية
رؤية معاصرة
ISSN: ٢٧٨٣-٥١٥٤

شخصية جعفر بن أبي طالب عليه السلام في المصادر «التاريخ العام نموذجًا»*

محسن قنبري نيك[١] حكيمه احساني[٢]

١. أستاذ مساعد في جامعة المعارف الإسلامية، قم، إيران.
Ghanbarinik@maaref.ac.ir

٢. طالبة في مرحلة الدكتوراه، تاريخ الإسلام، جامعة الأديان والمذاهب الإسلامية، المستوى الثالث في الحوزة العلمية، قم، إيران.
h.ehsani94@gmail.com

الملخّص

يُعدّ جعفر بن أبي طالب من أوائل المسلمين في صدر الإسلام، ومن أوفى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وأكثرهم ثباتًا. وهو من الشخصيات الرائدة والمؤثرة في تاريخ الإسلام، إذ اضطلع بأدوار مهمة؛ منها رعاية المسلمين في الحبشة، وقيادة الجيش في معركة مؤتة، وكان من الدعاة المؤثرين والكبار، حتى لُقّب واشتهر بـ«جعفر الطيّار». وهذا الصحابي الجليل، أخو الإمام علي عليه السلام، حاز مكانة متميزة لنشاطاته الجهادية في سبيل الإسلام، إضافة إلى موقعه الأسري والاجتماعي.

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن السؤال: كيف رسمت المصادر التاريخية العامة ملامح شخصية جعفر بن أبي طالب؟ كُتب هذا البحث بمنهج وصفي- تحليلي وبالاقتباس من التراجم والسير، وجُمعت البيانات والمعلومات من المصادر المكتبية.

* قنبري نيك ، محسن؛ احساني، حكيمه. (٢٠٢٥م). شخصية جعفر بن أبي طالب عليه السلام في المصادر «التاريخ العام نموذجًا». التاريخ والحضارة الإسلامية؛ رؤية معاصرة، ٥(٣)، صص ٢٧٨-٣٠٨.
https://doi.org/10.22081/ihc.2025.73304.1099

© المؤلفون * نوع المقالة: مقالة بحثية * الناشر: المعهد العالي للعلوم والثقافة الإسلامية.

تاريخ الإستلام: ٢٠٢٥/٠٧/٠٤ ● تاريخ التعديل: ٢٠٢٥/٠٨/٢٣ ● تاريخ القبول: ٢٠٢٥/١٠/١٤● تاريخ الإصدار: ٢٠٢٥/٠٦/١٠

تُظهر النتائج أن مصادر التاريخ العام لم تقتصر على بيان السمات الفردية لجعفر بن أبي طالب، بل أولت اهتمامًا بشخصيته الاجتماعية أيضًا، ويمكن توضيح ذلك في محورين:

المحور الأول: ما قبل الإسلام، ويتناول نسب جعفر عليه السلام، ومكانته الاجتماعية، واشتهاره بلقب «أبو المساكين».

المحور الثاني: العصر الإسلامي، وينقسم إلى ثلاث مراحل: المكية، الحبشية، المدنية. في المرحلة المكية تحدّثت عن إسلامه، وصموده، وهجرته إلى الحبشة. وفي المرحلة الحبشية أبرزت دوره كسفير لرسول الله صلى الله عليه وآله، ومسؤوليته في رعاية المهاجرين والدفاع عنهم. أما في المرحلة المدنية فقد تناولت دخوله المدينة، ووصفه بذي الهجرتين، وكفالته لابنة حمزة عليه السلام، وقيادته العسكرية، ورجزه، واستشهاده، كما ورد في مصادر التاريخ العام.

الكلمات المفتاحية

الإسلام، جعفر الطيّار، الشخصية، ذو الهجرتين، القيادة، معركة مؤتة، المصادر العامة.

المقدمة

جعفر بن أبي طالب عليه السلام من الوجوه الخالدة والشخصيات البارزة التي عاصرت عصر النبي صلى الله عليه وآله، وهو من الأبطال الشجعان والمؤثرين في تاريخ الإسلام، وأخو أمير المؤمنين علي عليه السلام، ونموذج الإيمان والعمل والجهاد. استُشهد في معركة مؤتة، واشتهر بلقب «جعفر الطيّار».

في ضوء دراسة المصادر التاريخية، يتبيّن لنا أنّ جعفر بن أبي طالب عليه السلام كان يتمتع بمكانة أسرية واجتماعية متميزة، وأدّى دورًا مهمًا في تاريخ صدر الإسلام وفي معارك عصر النبي صلى الله عليه وآله. بناءً على ذلك، تبدو دراسة شخصية جعفر في المصادر التاريخية ضرورية للتعرّف بصورة أعمق إلى أبعاد حياته الاجتماعية، ولتقديم نماذج رائدة من صدر الإسلام.

تحظى مصادر التاريخ العام بأهمية خاصة في هذا السياق، لأنها إلى جانب تناولها أخبار جعفر، تتطرق إلى أسرته وإلى سائر أحداث عصره، مما يسهم في دراسة شخصيته وتفسيرها على نحو أدقّ. وتسعى هذه الدراسة إلى استقصاء شخصية جعفر في مصادر التاريخ العام، والإجابة عن السؤال الآتي: كيف انعكست شخصية جعفر بن أبي طالب عليه السلام في نصوص التاريخ العام؟

الإجابة عن هذا السؤال تساهم في مزيد التوضيح حول شخصية الصحابة ومكانتهم في تاريخ الإسلام. وتُظهر الدراسات المتعلقة بخلفية الموضوع أنّ البحث في شخصية جعفر بن أبي طالب ونشاطاته في معارك صدر الإسلام كان محلّ اهتمام الباحثين على الدوام، وقد دُوّنت في هذا المجال كتب ومقالات عدّة؛ غير أنّه، ووفقًا لعمليات البحث المنجزة، لم يُعثر على عملٍ مستقلّ ومتخصص يتناسب تمامًا مع الموضوع المطروح.

في السنوات الأخيرة أُنجزت دراسات متعددة حول صحابة النبي صلى الله عليه وآله، وصدرت أعمال كثيرة (كتب ومقالات) سوف يُستعان بها في هذا البحث. وفيما يلي الإشارة إلى بعض الأعمال التي لها صلة أوثق بعنوان الدراسة، منها:

كتاب بعنوان «حمزة وجعفر» من تأليف محمد محمدي اشتهاردي، وقد تناول المؤلف في كتابه سيرة حمزة سيد الشهداء وجعفر الطيّار في مكّة والحبشة. وكذلك كتاب بعنوان «جعفر طيار عليه السلام، مردی که اگر می‌بود» من تأليف محمد مهدي معماريان، وقد نُشر في السنوات الأخيرة.

كما صدر مقال بعنوان «اسوه‌های فرماندهی جعفر طيار» بقلم محمد خطيبي، تناول فيه جوانب من حياة جعفر عليه السلام، ومكانته السامية، ودوره أميرًا لقافلة الهجرة وقائدًا لمعركة مؤتة.

كذلك تضمّ دائرة المعارف الإسلامية وموسوعة العالم الإسلامي مقالات موجزة عن الإمام جعفر عليه السلام تحت عناوين مثل: «جعفر بن أبي طالب» و«آل أبي طالب»، تناولت أبعادًا مختلفة من حياته.

وكما نرى، فإنّ الدراسات المتوفرة حول شخصية جعفر عليه السلام قد ركّزت إمّا على أبعاده الفردية فحسب، أو أشارت إلى جانب واحد من أدواره في صدر الإسلام، دون تناول شخصيته بصورة شاملة. ويكمن وجه التميّز في هذه المقالة مقارنةً بالدراسات السابقة في أنّ تلك الأبحاث تناولت سيرة حياة الإمام جعفر عليه السلام بصورة عامة وشاملة، في حين تسعى هذه المقالة إلى التعرّف على شخصية هذا الصحابي الجليل في متون التاريخ العام بصورة خاصة، مع التركيز على الأبعاد الفردية والاجتماعية لشخصيته.

بناءً على ذلك، فإنّ الدراسة - إلى جانب الوصف والتحليل لسماته الفردية- تتناول شخصيته قبل الإسلام، ثم بعد الإسلام في المرحلتين المكية والمدنية، بما يتيح فهمًا أدقّ وأشمل لمكانته ودوره في التاريخ الإسلامي.

١. المفاهيم

١-١. جعفر بن أبي طالب عليه السلام

إنّ لفظ «جعفر» في الأصل يعني «النهر» أو «مجرى الماء»، وقد فسّره بعض

اللغويين على أنّه نوع خاص من الأنهار. وذهب آخرون إلى أنّه يُطلق على النهر الكبير الواسع (الفراهيدي، ١٤١٠هـ، ج٢، ص ٣٢١)، في حين رأى بعضهم أنّ معناه النهر الممتلئ بالماء (الأزهري، ١٤٢٠هـ، ج٣، ص ٢٠٦). ويستعمل العرب هذه الكلمة أيضًا للدلالة على الناقة الغزيرة اللبن، لما بين وفرة لبنها وتشبيهها بالنهر الغزير من مشابهة (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج٤، ص ١٤٢). وقيل إنّ كلمة «جعفر» مركّبة من كلمتين هما «جعف» بمعنى الضرب على الأرض أو الإلقاء عليها، و«جفر» بمعنى الحفرة الكبيرة (ابن فارس، ١٤٠٤هـ، ج١، ص ٥٠٨). ويتّسق هذا التفسير مع معنى النهر الكبير الواسع الذي يجري في مجرى واسع.

ويُفهم من إطلاق اسم «جعفر» على الأشخاص الإشارة إلى عظمة النفس وسعة الروح لدى من يحمل هذا الاسم. وجعفر هو ابن أبي طالب وفاطمة بنت أسد، وهو من أوائل الهاشميين الخلّص، إذ إنّ والديه كلاهما من بني هاشم.

١-٢. التاريخ العام

لبيان معنى «التاريخ العام» لا بدّ من دراسة هذا المصطلح المركّب بتحليل جزأيه كلٌّ على حدة، للوصول إلى فهمٍ دقيق له. فالتاريخ هو عرضٌ عام لوقائع الأحداث والحروب، وذكر الملوك والرؤساء، وبيان الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في العالم.

أمّا «التاريخ العام» فيُطلق على المؤلّفات التي تتناول الأحداث منذ خلق آدم عليه السلام إلى زمن حياة المؤلِّف نفسه. ومن أبرز الأمثلة على هذا النوع من المؤلفات كتب الطبري واليعقوبي، التي تُعدّ من مصادر التاريخ العام (ساسانبور، ١٣٩٢ش، ص ١٠٠).

ويأتي التاريخ العام في الغالب على هيئة خلاصة موجزة لتواريخ السلالات الحاكمة والتواريخ المحلية. إذ يبدأ مؤرخو التاريخ العام مؤلفاتهم بذكر خلق العالم، ثم يتناولون قصة خلق آدم وسير الأنبياء، وبعد ذلك ينتقلون إلى التاريخ

الأسطوري لإيران ابتداءً من كيومرث (الذي يُعدّ أول إنسان وأول ملك)، ويستمرون في السرد حتى نهاية العصر الساساني. ثم يدوّنون تاريخ الإسلام منذ حياة النبيﷺ، ويواصلون تسجيل تاريخ السلالات الإيرانية حتى عصرهم. ومن هنا أصبح التاريخ العام، في جوهره، بمثابة ملخّص لتواريخ الدول والسلالات والتواريخ المحلية (صفا، ١٣٧٥ش، ج٥، ص ١٥٥٢).

٢. السمات الفردية لجعفرعليه السلام

٢-١. الولادة والنَّسب

تذكر مصادر التاريخ العام روايتين بشأن ولادة جعفرعليه السلام. فطبقًا للرأي المشهور، كان لأبي طالب أربعة أبناء هم: طالب، وعقيل، وجعفر، وعليعليه السلام. وقد وُلد جعفرعليه السلام في السنة العشرين من عام الفيل، أي قبل بعثة النبيﷺ بعشرين سنة، في مكة المكرمة (ابن عبد البر، ١٤١٢هـ، ج١، ص ٢٤٢؛ ابن الأثير، ١٤٠٩هـ، ج١، ص ٢٨٦؛ الأصفهاني، بدون تاريخ، صص ٣ و٨؛ الأمين العاملي، ١٤٠٦هـ، ج٤، صص ١١٨–١١٩).

وبحسب هذا الرأي، فإن الفاصل العمري بين جعفر وإخوته كان عشر سنوات. ويروي البلاذري، نقلًا عن الإمام الصادقعليه السلام، أنّ الفارق العمري بين جعفر وعقيل كان أربع سنوات، وبين جعفر والإمام عليعليه السلام تسع سنوات (البلاذري، ١٣٩٤ش، ج٢، صص ٢٩٦ و٤٠).

من ألقاب جعفرعليه السلام: أبو المساكين، والطيّار، وذو الجناحين، وذو الهجرتين (ابن هشام، ١٤٠٩هـ، ج١، ص ٥٠٥؛ ابن سعد، ١٣٧٤ش، ج١، ص ٩٧؛ ابن سعد، ١٤٠١هـ، ج٨، ص ٢١٩).

كان جعفر أشبه الناس برسول اللهﷺ خلقا وخلقا وكان الرجل يرى جعفر فيقول السلام عليك يا رسول الله يظنه إياه فيقول لست برسول الله أنا جعفر (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج٢٢، ص ٢٧٦؛ الأمين العاملي، ١٤٠٦هـ، ج٤، ص ١٢٥).

وكان يلبس الخاتم في يده اليمنى (ابن سعد، ١٤١٠هـ، ج ٤، ص ٢٧). وكان له أختان أو ثلاث أخوات بأسماء: أم هانئ (فاختة)، وجمانة، وريطة (ابن الأثير، ص ٥٤٢؛ المسعودي، ج٣، ص ٩٤؛ الأصفهاني، ١٣٨٥ش، ص ٣).

٣. جعفر قبل الإسلام

إنّ التعرّف إلى صفات الشخصيات الإسلامية البارزة قبل الإسلام يرتبط في الغالب بخصائصها القبلية والاجتماعية والأسرية. ويبدو أنّ العادات الجاهلية كانت قد أوجدت نوعًا من الثقافة العامة السائدة بين الناس آنذاك، غير أنّ المصادر التاريخية تشير إلى أنّ بعض الأسر والأفراد كانوا يتجنّبون التقاليد الخاطئة لعصر الجاهلية، واشتهروا بالفضائل الإنسانية.

وكان جعفر بن أبي طالب، لما يتمتع به من نسبٍ شريف ومكانة اجتماعية متميزة، من أولئك الرجال الفضلاء، وهو ما سنشير إليه في ما يأتي من محاور:

٣-١. أسرة جعفر عليه السلام

كانت زوجة جعفر عليه السلام سيدةً جليلة القدر تُدعى أسماء بنت عميس بن النعمان من قبيلة خثعم، وهي من النساء الفاضلات اللواتي رافقنه في الهجرة إلى الحبشة (ابن سعد، ١٤١٠هـ، ج٤، ص ٢٥). وقد أولدها: عبد الله، ومحمد، وعون، وجميعهم وُلدوا في الحبشة (ابن سعد، ج٤، ص ٣٤؛ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٠).

وتذكر بعض المصادر أن له من أسماء أربعة أبناء آخرين هم: محمد الأصغر، وحميد، وحسين، وعبد الله الأصغر، وتذهب إلى أنّهم وُلدوا أيضًا في الحبشة (الحسيني، ١٤١٧هـ، ص ٣٥).

وقد برز عدد من ذرية جعفر عليه السلام من بين أصحاب الأئمة عليهم السلام ورواة أحاديثهم، منهم: إبراهيم بن محمد الجعفري (ابن عنبة، صص ٥١-٥٢)، وكان من الشهود على وصية الإمام الكاظم عليه السلام للإمام الرضا عليه السلام. وكذلك إسحاق بن محمد جعفر،

وإسماعيل بن عبد الله بن جعفر، وجعفر بن إبراهيم بن محمد، وكانوا من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام.

ومنهم أيضًا جعفر بن سويد الجعفري القيسي الكوفي، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وصالح بن منصور بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الجعفري، من أصحابه عليه السلام، وإبراهيم بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الجعفري، من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (الطوسي، ١٤١٥هـ، ص ١٠٩).

كما يُعدّ أبو هاشم الجعفري، داوود بن قاسم، من الأصحاب المخلصين لأهل البيت عليهم السلام، وقد رُويت عنه أحاديث كثيرة في موضوعات متعددة من الفقه والكلام والتفسير وكرامات الأئمة (ابن الأثير، ج٥، ص ٧٨).

ومن أعلام أسرة آل جعفر من السادة، محمد بن الحسن بن حمزة أبو يعلى الجعفري، وهو فقيه ومتكلّم شيعي بارز، وصهر الشيخ المفيد وتلميذه، وكان المتولّي لغسل السيد المرتضى.

وتُعدّ سلالة آل جعفر عليه السلام من أعرق البيوتات العلمية الشيعية في إيران والعراق، ويُعرفون بسادة آل جعفر أو السادة الجعفريين، ويُطلق عليهم أيضًا السادة الزينبيون.

وكان لهم أوقاف في الحرمين الشريفين، وقد نشبت في بعض السنوات نزاعات حول إدارة تلك الأوقاف (ابن الأثير، بدون تاريخ، ج١٠، صص ٦٨–٦٩؛ الحلواني، ص ٩٨؛ أبو طالب، صص ١٨٥–١٨٦). كما استقرّ بعضهم في حضرموت، ووقعت بينهم وبين عشائر مثل آل كُدَة نزاعات وخلافات (الأصفهاني، ١٣٨٧ش، ص ٢٦٤؛ الطبري، ص ٥٦١).

وداوود بن قاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب هو اسمه ونسبه الكامل، وكان والده قاسم بن إسحاق من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام (النجاشي، ١٤٣٦هـ، ج١، ص ٣٦٢).

٣-٢. المكانة الاجتماعية

على الرغم من قلّة الروايات الواردة بشأن أحوال جعفرعليه السلام قبل بعثة النبيصلى الله عليه وآله، فإنّ المصادر التاريخية تذكر له صفات حميدة كثيرة في فترة الجاهلية؛ فعلى الرغم من الفساد العقدي والأخلاقي السائد آنذاك، عاش جعفرعليه السلام حياة طاهرة كريمة، وتحلّى بالشرف والنزاهة. وقد نُقل عنه قوله: «إنّ الناس يفكّرون في زيادة عقولهم، وأنا لا أنقص عقلي أبدًا» ـ يقصد بذلك اجتناب شرب الخمر (أبو نعيم، ١٣٨٧ش، ص ١١٤؛ ابن قانع، ١٤١٨هـ، ج٣، ص ١١٥٥).

ومن أبرز مميّزاته اجتنابه الشرك وعبادة الأصنام، ويُعدّ ثاني رجل أسلم بعد أخيه الإمام عليعليه السلام، إذ دخل في الإسلام بعده بقليل (ابن الأثير، ص ٤٢١؛ ابن طاووس، ص ٨٦).

عن أبي جعفر محمد بن علي الباقرعليه السلام، قال: أوحى الله عزوجل إلى رسولهصلى الله عليه وآله: أني شكرت لجعفر بن أبي طالب أربع خصال، فدعاه النبيصلى الله عليه وآله فأخبره، فقال: لو لا أن الله أخبرك ما أخبرتك، ما شربت خمرا قط، لاني علمت أن لو شربتها زال عقلي، وما كذبت قط، لان الكذب ينقص المروءة، وما زنيت قط، لاني خفت أني إذا عملت عمل بي، وما عبدت صنما قط لاني علمت أنه لا يضر ولا ينفع. قال: فضرب النبيصلى الله عليه وآله يده على عاتقه، فقال: حق لله عزوجل أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة في الجنة (ابن بابويه، ص ٧٤-٧٥).

وكان جعفر خطيبًا فصيحًا، قويًّا، شجاعًا، كريمًا (الأصفهاني، ١٣٨٧ش، ج١، ص ١١٤)، صبورًا، متواضعًا، وشخصية نافعة محبّة للخير (ابن قدامة، ١٤٠٨هـ، ص ١١٥)، وكان يتمتع بعقل راجح، وذكاء، وفطنة، وإرادة قوية. وذكر الذهبي في كتابه أنّه «سيد الشهداء، ورفيع القدر، ومجاهد عظيم» (الذهبي، ١٤١٣هـ، ج١، ص ٢٠٦).

وقد اشتهر جعفرعليه السلام في الجاهلية بالتقوى والابتعاد عن الشرب والكذب والزنا وعبادة الأصنام، ولاحقًا شكر الله له هذه الصفات عبر نبيهصلى الله عليه وآله (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج٢٢، ص ٢٧٦).

وبالتالي، فإنّ منهج جعفر عليه السلام الأخلاقي كان يرتكز على اجتناب كل أشكال الفساد والانحراف الذي كان شائعًا في ذلك العصر، وأبرز مميزاته كانت اجتنابه الشرك وعبادة الأصنام.

٣-٣. أبو المساكين

من بين كنى جعفر عليه السلام وألقابه وخصاله قبل وبعد الإسلام، اهتمامه بالمساكين والمستضعفين، وهو ما يعدّ من خصائصه وخدماته الاجتماعية. فقد كان رحيماً جدًا بالفقراء والمحتاجين، ويسعى لمساعدتهم قدر استطاعته، حتى لُقّب بـ«أبو المساكين» (ابن سعد، ١٣٧٤ش، ج١، ص ٤١؛ ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ج١، ص ١٩٧).

وقد ذُكر: «كان جعفر يولي اهتمامًا كبيرًا بالمحتاجين والفقراء، ويجالسهم، ويخدمهم، ويتحدث إليهم، حتى أن رسول الله صلى الله عليه وآله سمّاه «أبو المساكين»» (ابن حجر، ١٤١٥هـ، ج٤، ص ٢٠٩).

كان جعفر خير سند للمساكين، فلم يكن يردّهم خائبين حتى في أحلك الظروف والفقر (ابن الأثير، ١٤٠٩هـ، ج١، ص ٥٤٣).

ووضعت هذه الفضائل جعفر عليه السلام في مكانة متميزة في معظم جوانب الثقافة الإسلامية، نظراً لما عُرف به من إحسان ورعاية للمحتاجين.

٤. جعفر عليه السلام في مرحلة الإسلام

٤-١. الفترة المكية

في عصر صدر الإسلام، ساهم وجود شخصيات بارزة نشأت وترعرعت في مدرسة النبي صلى الله عليه وآله في ترسيخ أركان الدين الإسلامي وانتشاره. وكان جعفر من أهل بيت الرسالة وأحد أوائل الذين استجابوا لدعوة النبي صلى الله عليه وآله، وسعى في سبيل نشر الإسلام والدعوة إليه في مكة، ثم خارجها.

وفيما يلي أبرز السمات والخصائص لجعفر عليه السلام خلال السنوات الأولى لظهور الإسلام، أي في الفترة المكية.

٤-١-١. دخوله في الإسلام

عاش جعفر شبابه وفترة مراهقته بعيدًا عن جاهلية ذلك العصر وشركه. وعند بعثة النبي صلى الله عليه وآله، كان عمره حوالي عشرين عامًا، وكان من أوائل الذين أسلموا.

ذكرت المصادر التاريخية أقوالًا متعددة بشأن إسلامه. فقد اعتبره بعض المؤرخين ثالث رجل أسلم بعد الإمام علي عليه السلام وزيد بن حارثة (ابن النبي بالتبني)، إذ آمن بالنبي صلى الله عليه وآله في السنة الأولى للبعثة (الأصفهاني، بدون تاريخ، ص ٣٢؛ ابن شهر آشوب، ١٤٠٥هـ، ج٢، ص ٢٧؛ ابن الأثير نقلاً عن أبي الفرج الأصفهاني). ويُجمع بعض الأخبار على أنّ جعفر أسلم بعد أخيه علي عليه السلام بقليل (الأصفهاني، بدون تاريخ، ص ٣٤؛ الأمين العاملي، ص ١٢٦).

وتشير بعض الروايات إلى أنّ جعفر، مع علي عليه السلام ائتمّوا بالنبي صلى الله عليه وآله، في أول صلاة جماعية في الإسلام، وكان والده يشجعه على ذلك. وبحسب أخبار أخرى، أسلم جعفر عند بداية الدعوة العلنية في يوم الإنذار، واعتُبر المسلم السادس والعشرون أو الثلاثون أو الثاني والثلاثون (ابن شهر آشوب، ١٤٠٥هـ، ج١، ص ٤٦؛ المسعودي، ١٣٨٤ش، ص ١١٦).

يذكر الواقدي عن محمد بن صالح أنّ جعفر عليه السلام أسلم قبل أن يذهب النبي صلى الله عليه وآله إلى بيت أرقم ويدعو الناس إلى الإسلام هناك (ابن سعد، ١٣٧٤ش، ج٤، ص ٣٧؛ ابن عساكر، ١٤١٥هـ، ج٧٢، ص ١٢٥؛ ابن حجر، ١٤١٥هـ، ج١، ص ٥٩٢).

وبما أنّ الدعوة العلنية بدأت بعد ثلاث سنوات من الدعوة السرية، فيُستنتج أنّ أول صلاة جماعية أقيمت في السنة الرابعة للبعثة في مكة المكرمة (قرائتي، ١٣٧٤ش، ص ٩٤).

وقد نزلت آيات في شأن جعفر عليه السلام، إذ يشير القرآن إلى مجموعة خاصة من

http://ihc.isca.ac.ir

المؤمنين الذين سبقوا في اتباع رسول اللهﷺ، كما ورد في الآيتين ٣٣ و٢٣ من سورة الأحزاب:

«وَلَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا».لقد وردت تفاسير عديدة حول شأن نزول هذه الآية.

وعن إيمان جعفرعليه السلام واقتدائه بالنبيﷺ، يقول أبو عبد الله جعفر الصادقعليه السلام: عندما أقيمت أول صلاة جماعة في الإسلام، كان جعفرعليه السلام يمرّ مع أبي طالبعليه السلام في المكان الذي رأوا فيه رسول اللهﷺ يصلي وعليعليه السلام واقفًا على يمينه مقتديًا به. فقال أبو طالبعليه السلام لابنه جعفر: «صل جناح ابن عمك»، فوقف جعفرعليه السلام على يسار النبيﷺ وأدّى الصلاة (الطبرسي، ١٣٩٠ش، صص ٣٦-٣٧).

٤-١-٢. الثبات والصمود

اشتدّ ضغط مشركي مكة على الذين أسلموا. وبفضل دعم أبي طالب للنبيﷺ في نشر الإسلام، لم يكن لأشراف قريش قدرة على إيذائه. ومن جهة أخرى، كان استمرار دخول العبيد والمستضعفين في كنف الإسلام المخلّص يزيد المشركين جرأة في إيذاء المسلمين. وكانت كل قبيلة تتحمل مسؤولية مضايقة المسلمين التابعين لها، وأما من لم تكن له قبيلة أو عشيرة أو حامي، فكان مضطراً لتحمل شتى أنواع العذاب والأذى.

وعليه، شرع المشركون بسجن المسلمين وتعذيبهم، وكانوا يلقون أنواعًا متعددة من العذاب: بعضهم يُضرب، وبعضهم يُترك جائعًا، وآخرون يُعرّضون للحرارة الحارقة على رمال مكة، ويجبرون على الاستلقاء عليها عراة، ويستمر التعذيب حتى يتركوا دينهم. وفي ظل هذه الظروف، كان بعض الناس يبرأ من دينه بسبب شدّة الأذى والعذاب، بينما كان آخرون يصمدون ويحتملون كل أنواع الأذى، دون أن يتخلوا عن دينهم (ابن هشام، ١٤٠٩هـ، ص ١٩٦).

وكان جعفرعليه السلام من الثابتين على دينهم، لم يتخلّ عن إسلامه أبدًا، بل تحمّل

مشقة الهجرة إلى الحبشة، ومسؤولية قيادة المهاجرين، نصرةً للإسلام وللنبيﷺ.

تروي أم سلمة، إحدى النساء المهاجرات، قائلة: «لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى لَا نُؤْذَى وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ،» (ابن هشام، ١٤٠٩هـ، ص ٢٢٢).

٤-٢. الهجرة إلى الحبشة

في فترة الدعوة المكية، ازداد تعذيب المشركين للمسلمين فأوصاهم النبيﷺ بالهجرة إلى الحبشة، فهاجر جعفرعليه السلام مع زوجته وعدد من المسلمين من مكة إلى الحبشة (الطبري، ج ١١، ص ٤٩٤؛ ابن عبد البر، ص ٢٤٢).

٤-٢-١. جعفرعليه السلام كسفير للنبيﷺ

بسبب اضطهاد المشركين للمسلمين أو النزاعات بينهم، وانتشار الإسلام في مناطق أخرى، هاجر عدد من المسلمين إلى الحبشة في السنة الخامسة من البعثة، بأمر من النبيﷺ، وتولّى جعفرعليه السلام قيادة قافلة المهاجرين (ابن هشام، ١٤٠٩هـ، ص ٣٢٣؛ المقدسي، ١٣٧٤ش، ج٢، ص ٧٩٢). كما كان جعفرعليه السلام سفير النبيﷺ إلى النجاشي في الحبشة.

ولما كان جعفرعليه السلام قائد المسلمين المهاجرين في الحبشة، وصلته رسالة من ملك الحبشة تتضمّن إحضاره وسائر المسلمين لمقابلة ممثلي قريش (عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة، وعبد الله عمارة بن وليد) أمام النجاشي. فأبلغ جعفرعليه السلام المسلمين بذلك، واتفقوا جميعًا على أن يكون هو المتحدث باسمهم أمام النجاشي، لأنه كان الأقرب إلى النبيﷺ بينهم، وأشرفهم حسبًا ونسبًا، وأبلغهم كلمة وأقدرهم على الدفاع عن دينهم (ابن هشام، ١٤٠٩هـ، ج ١، صص ٣٢١–٣٣٨).

وكانت رئاسة المسلمين في الحبشة لجعفرعليه السلام، ليشرح الأمور ويجيب عن أي أسئلة قد تُطرح عليهم. وتذكر المصادر التاريخية أنّ المهاجرين، عندما علموا

بالاستدعاء من ملك الحبشة وسبب ذلك، عقدوا اجتماعاً للتشاور حول كيفية مخاطبة النجاشي، وقرروا بعد المناقشات أن يتحدثوا بصدق ووضوح، ويجيبوا عن كل أسئلة الملك بكل أمانة، حتى لو أدى ذلك إلى تهجيرهم مجدداً. واختاروا جعفرعليه السلام ليكون المتحدث الرسمي، وورد في بعض الروايات أنّ جعفرعليه السلام نفسه قال لهم: «اتركوا الإجابة لي، ولا يتحدث أحد غيري» (ابن هشام، ١٤٠٩هـ، ص ٢١٥).

وهنا يظهر بوضوح مقام جعفرعليه السلام وقيادته المسلمين في الحبشة (ابن كثير، ج٣، ص ٧٧؛ المجلسي، ج٦؛ ابن حجر، ١٤١٥هـ، ج١، ص ١٧١).

٤-٢-٢. الدفاع عن المسلمين

إلى جانب شجاعته وبسالته، كان جعفرعليه السلام بليغًا وفصيح اللسان وخطيباً لا مثيل له في الإسلام. فلمَّا رأت قريش أنَّ أصحاب رسول اللَّه صلَّى الله عليه وسلَّم قد أمنوا واطمأنُّوا بأرض الحبشة، وأنَّهم قد أصابوا بها دارًا وقرارًا، ائتمروا بينهم أنَّ يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جَلْدَيْنِ إلى النجاشيِّ، فيردَّهُمْ عليهم، ليفتنوهم في دينهم، ويخرجوهم من دارهم، الَّتي اطمأنُّوا بها وأمنوا فيها، فبعثوا عبد اللَّه بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشيِّ ولبطارقته، ثمَّ بعثوهما إليه فيهم.

وفي مجلس النجاشي، أدرك جعفرعليه السلام مكانة مخاطبه وألقى خطابًا بليغًا، عرّف فيه بالوضع الاجتماعي والأخلاقي لقومه، وبيّن أهمية رسالة النبيصلى الله عليه وآله، فقال:

«أيها الملك! سأخبرك بما سمعته من هادينا ونبينا: أيّها الملك، كنَّا قومًا أهل جاهليَّة، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منَّا الضَّعيف، فكنَّا على ذلك، حتَّى بعث اللَّه إلينا رسولًا منَّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى اللَّه لنوحِّدهُ ونعبدهُ، ونخلع

ما كنَّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأَمانة، وصلة الرَّحم، وحسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدِّماء، ونهانا عن الفواحش». (ابن كثير، ١٤١٧هـ، ج ٢، ص ١٩).

ومن كلامه يظهر أنّ هؤلاء الناس كانوا يشعرون بالمعاناة والقلق بسبب غياب القوانين والضوابط التي تمنع الفوضى في حياتهم. وأضاف جعفرعليه السلام: «أيها الملك! معارضتنا الدينية لهم بسبب النبي الذي بعثه الله فينا، والذي أمرنا بترك الأصنام، وترك القمار، وأمرنا بالصلاة والزكاة، ونهانا عن الظلم والجور والقتل والربا والزنا وأكل الميتة، وأوجب علينا العدل والإحسان مع الأقارب، ومنع الأعمال السيئة والقهر» (ابن هشام، ١٤٠٩هـ، صص ٧-٣٥٦).

لقد ذكرنا سابقًا أنّ جعفرًاعليه السلام لم يرتكب في الجاهلية أي من الصفات السيئة، فكيف تكلّم في مجلس النجاشي بهذه العبارات؟ «كنا رجالًا جاهلين، نعبد الأصنام، نعتدي...».

تفسير ذلك أنّ جعفرعليه السلام كان يتحدث في هذا المجلس نيابة عن جميع أهل مكة والمسلمين، فليس كل أهل مكة متصفين بهذه الصفات، لكن جزءًا من المجتمع كان يعاني منها، وكان قصد جعفر هو تصوير المجتمع الجاهلي بصورة عامة، وليس وصف شخصيته أو صفاته الخاصة.

واصل سفير النبيصلى الله عليه وآله جعفرعليه السلام قوله: «... فصدَّقناه وآمنَّا به، واتَّبعناهُ على ما جاء به من اللَّهِ، فعبدنا اللَّهَ وحدهُ، فلم نُشرك به شيئًا، وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذَّبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة اللَّهِ تعالى، وأن نستحلَّ ما كنَّا نستحلُّ من الخبائث، فلمَّا قهرونا وظلمونا وضيَّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أنْ لا نُظْلم عندك أيُّها الملك».

وقد بيّن كلام جعفرعليه السلام أمام النجاشي ملك الحبشة، الفرق بين أخلاق

الجاهلية وأخلاق الإسلام بشكل مؤثر. فقال له النَّجاشيُّ: هل معك ممَّا جاء به عن اللَّهِ من شيءٍ؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النَّجاشيّ: فاقرأهُ عليَّ».

وبالنظر إلى أن مجلس النجاشي كان كله مسيحيًا، والملك نفسه مسيحي، والأساقفة وضعوا أمامهم صحف الإنجيل، وكانت أجواء المجلس مشبعة بالمشاعر المسيحية، بدأ جعفر عليه السلام بقراءة آيات من سورة مريم المتعلقة بمريم وعيسى ويحيى وزكريا، بصوت هادئ ومتزن، وأدى الآيات التي تتسم بفواصل قصيرة ونهايات متساوية تُحدث إيقاعًا خاصًا، بأسلوب بليغ وجذاب.

كان قصد جعفر من قراءة هذه الآيات توضيح المنطق المعتدل والصحيح للقرآن حول عيسى عليه السلام والعذراء مريم للمسيحيين، ليُظهر لهم أنّ القرآن مع تعظيمه لعيسى ومريم بأقصى درجات التعظيم، فإنه يبعدهما عن مرتبة الألوهية.

وقد أثّرت هذه القراءة في قلوب الحاضرين إلى درجة أن النجاشي بكى واخضلّت لحيته وكذلك أساقفته وكل من في المجلس تأثروا بشدة وبكوا حتى اخضلّوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم (المقدسي، ٢٠١٣م، ص ٣٥).

فقال النجاشي لمبعوثي قريش: إنَّ هذا والَّذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلّمهم إليكما ولا يكادون. وقال: ردّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها. ثم التفت إلى المسلمين وقال: اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي- والشُّيوم: الآمنون (ابن هشام، ١٣٠٩هـ، ص ٣٥٨؛ ابن الأثير، بدون تاريخ، ج١، ص٤٩٩، الطبري، ١٣٨٧هـ، ص ٣٧) ومكث جعفر عليه السلام ورفاقه في الحبشة حتى أواخر السنة السادسة للهجرة، أي لمدة ١٥ عامًا. وخلال هذه الفترة، أسلم النجاشي على يد جعفر عليه السلام (الطبري، ١٣٨٧هـ، ج٢، ص ٣٤٣؛ ابن عساكر، ١٤١٥هـ، ج٤٥، ص ٤٣).

بعد هذه الحادثة، عاد مبعوثو قريش إلى مكة خائبين.

لقد أثار تصرّف النجاشي عدة جوانب من القلق والاستياء لدى قريش. فمن جهة، كان المهاجرون في الحبشة يعيشون في بلاد بعيدة عن تعذيب وإيذاء قريش، مطمئنين وسعداء وأحرارًا، بينما عاد مبعوثو قريش من عند النجاشي

مثقلين بالحزن والإحباط. ومن جهة أخرى، كان الإسلام ينتشر بين القبائل، ويزداد عدد المسلمين يومًا بعد يوم، وكان يُسمع يوميًا عن اعتناق أحد الأعداء الألدّاء لرسول اللهﷺ قد اعتنق الإسلام الحنيف.

٥. مرحلة المدينة

تُظهر مراجعة تاريخ المسلمين في المدينة المنورة أنّ الجهود والمشاق التي تحمّلها مجاهدو الإسلام أثمرت، وبعون الله، استقر الدين الحق، وأصبح هناك مكان مناسب لتأسيس أول مجتمع قائم على التعاليم الإسلامية. وكان جعفرعليه السلام من بين الأشخاص المؤثرين في وصول المسلمين إلى هذا المكان، وفيما يلي أبرز صفاته ومميزاته خلال هذه الفترة.

٥-١. الدخول إلى المدينة

عندما ترك النبيﷺ والمسلمون مكة، وهاجروا إلى يثرب وضعوا أُسس الحكومة الإسلامية. وكان المسلمون من قبائل وطوائف شتّى يفدون إلى النبيﷺ، ومع الانتصارات التي حققها الإسلام، ازداد أتباع القرآن والعترة قوةً وعدداً يوماً بعد يوم. وبعد صلح الحديبية ازدادت حرية أصحاب النبيﷺ وعزّتهم أكثر من ذي قبل، كما انتهت غربة مهاجري الحبشة، وعادوا إلى المدينة بعد خمس عشرة سنة.

وكانت عودة مهاجري الحبشة على النحو الآتي: إنّ النبيﷺ بعث رسالةً إلى النجاشي ملك الحبشة يأمره فيها بإرسال المهاجرين إلى المدينة (ابن سعد، ١٤١٠هـ، ص٢٥٩). فلما وصل أمر رسول اللهﷺ إلى النجاشي، هيّأ وسائل السفر للمسلمين، وأرسل أمّ حبيبة زوجة النبيﷺ مع سائر النساء المهاجرات في سفينة، وأرسل الرجال في سفينة أخرى برفقة عمرو بن أميّة وشرحبيل بن حسنة، ومعهم ثلاثون رجلاً من العلماء، متوجهين إلى المدينة (الأمين العاملي، ج٦، ص ١٦٠).

وكانت عودة مهاجري الحبشة إلى المدينة في السنة السابعة للهجرة، في الوقت الذي كان فيه النبي الأكرمﷺ منشغلاً بقتال يهود خيبر، ولذلك بقيت النساء في المدينة، وخرج الرجال إلى ناحية خيبر، فوصل المهاجرون إلى خيبر في ذلك الوقت (ابن كثير، د.ت، ج٣، ص٧٣). وكانت هذه المنطقة قد فُتحت على يد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام، وكان النبيﷺ والجنود والقادة غارقين في الفرح والسرور.

في تلك اللحظة، وصل خبر قدوم جعفرعليه السلام رئيس المهاجرين وأصحابه إلى النبيﷺ، فاستقبلهم، واعتنق ابن عمّه جعفراً، وقبّل جبينه، وسجد سجدة الشكر (البلاذري، ١٣٩٤هـ، ص٢٩٨). ثم قال: «لا أدري بأيّهما أنا أسرّ وأفرح؛ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟» (البلاذري، ١٣٩٤هـ، ص٢٢٩؛ اليعقوبي، ١٣٧١هـ، ج٢، صص ٢٩ و٥٦؛ ابن هشام، ١٤٠٩هـ، صص ٢٢٢-٣٥٩؛ ابن الأثير، بدون تاريخ، صص ٥١ و٨١؛ المقريزي، ج٤، ص ١٠٧).

ثم توجّه إلى جعفر وقال له: «ألا أمنحك عطيةً وأجزيك وأعطيك؟» فقال جعفر: بلى، يا رسول الله. فظنّ الناس أنّه سيعطي جعفراً دروعاً وحُلِيّاً ودراهم ودنانير، فتقدّموا جميعاً، غير أنّ النبيﷺ علّمه صلاة جعفر الطيّار ذات الأربع ركعات، وهي في الحقيقة وسام عظيم وعلامة شرف، علّمها لذلك البطل الإسلامي الشجاع، ليبقى اسمه حيّاً وخالداً بين العُبّاد والزهاد وسائر المسلمين. كما أعطى من غنائم خيبر لجميع مهاجري الحبشة، مع أنّهم لم يشاركوا في القتال (ابن كثير، بدون تاريخ، ص٢٠٦).

وقد علّمه صلاة التسبيح هديةً له، وهذه الصلاة معروفة بصلاة جعفر الطيّار، ووردت في الروايات فضائل كثيرة بشأنها (الكليني، الكافي، ج٣، ص٤٦٥).

٥-٢. ذو الهجرتين

من ألقاب جعفر أنّه ذو الهجرتين؛ إحداهما إلى الحبشة، والأخرى إلى

المدينة. فلمّا قدم جعفر وأصحابه إلى المدينة، لقّبه النبيﷺ هو ومن معه بـ ذوي الهجرتين (ابن سعد، ١٣٧٤هـ، ج٨ و٤، ص ٢٨١؛ الأصفهاني، ١٣٨٥هـ، ص ٥١١). وقد صلّى إلى القبلتين، وبايع النبيﷺ مرّتين (سفينة البحار، مادة: جعفر).

وقعت الهجرة إلى الحبشة في أوائل الدعوة الرسمية للنبيﷺ، وذلك في السنة الخامسة من البعثة. وبحسب ما صرّحت به المصادر الإسلامية، فقد تمت الهجرة إلى الحبشة في تلك السنة على مرحلتين، وكان جعفر في المرحلة الثانية بأمر النبيﷺ رئيسَ الجماعة الثانية من المهاجرين. وتُعرف هذه الرحلة في كتب التاريخ بـ الهجرة الثانية (ابن سعد، ١٤١٠هـ، ص ٢٠).

وفي هذه الهجرة صلّى جعفر إلى قبلتين؛ ففي بداية الإسلام كان التوجّه في الصلاة إلى بيت المقدس، ثم بعد ذلك في المدينة إلى الكعبة. وبعدها لحق بهم أفراد آخرون، فتركوا مكة جهاراً أو خفيةً عن أنظار قريش، وتوجّهوا إلى الحبشة. وكان عمر جعفر في ذلك الوقت أربعاً وعشرين أو خمساً وعشرين سنة.

وأقام المسلمون في الحبشة إلى أواخر السنة السادسة للهجرة، أسلم خلالها ملك الحبشة النجاشي. وقبل غزوة خيبر طلب النبيﷺ من النجاشي إعادة المسلمين، فاستجاب لذلك، وأرسل جعفراً وسائر المهاجرين مع عمرو بن أميّة الضمري، سفير رسول اللهﷺ، في سفينتين متوجهتين إلى المدينة (الطبري، ١٣٨٧هـ، ص ٣٤٣؛ ابن عساكر، ١٤١٥هـ، ص ٤٣).

بعد عودة جعفرعليه السلام من المهجر، خصّص له النبيﷺ منزلاً إلى جانب المسجد، وأعطاه هو والمهاجرين الذين كانوا معه قسماً من غنائم غزوة خيبر (ابن سعد، ١٤١٠هـ، ص ١٠٦).

٥-٣. كفالة ابنة حمزة

في السنة السابعة للهجرة، في شهر ذي القعدة، وبعد عام واحد من صلح الحديبية، شارك جعفر في عمرة القضاء. في هذه الرحلة، وقبل دخول مكة،

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جعفراً عليه السلام إلى مكة. وخلال هذه السفرة كانت عمارة بنت حمزة، ابنة عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، في مكة من دون كافل.

وقد ورد في المصادر التاريخية ما نصّه: «قال أخبرنا الفضل بن دكين قال حدثنا حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عن أبيه قال إن ابنة حمزة لتطوف بين الرجال إذ أخذ علي بيدها فألقاها إلى فاطمة في هودجها قال فاختصم فيها علي وجعفر وزيد بن حارثة حتى ارتفعت أصواتهم فأيقظوا النبي صلى الله عليه وسلم من نومه قال هلموا أقض بينكم فيها وفي غيرها فقال علي ابنة عمي وأنا أخرجتها وأنا أحق بها وقال جعفر ابنة عمي وخالتها عندي وقال زيد ابنة أخي فقال في كل واحد قولا رضيه فقضى بها لجعفر وقال الخالة والدة فقام جعفر فحجل حول النبي صلى الله عليه وآله» (ابن سعد، ١٤١٠هـ، ص ٢٨؛ الذهبي، ١٩٦٠م، ج١، صص ٢١٣–٢١٤).

جاء في بعض المصادر التاريخية: كان جعفر عليه السلام في البداية تحت كفالة عمّه العباس، ثم تولّى بنفسه كفالة ابنة حمزة لاحقاً (ابن هشام، ١٤٠٩هـ، ص ٢٠٨). كما ورد أنّ جعفر نشأ في كنف عمّه العباس، وقضى طفولته وشبابه معه، إلى أن أسلم، فاستقلّ بعد ذلك (ابن هشام، ١٤٠٩هـ، ج١، صص ٢٤٦–٢٦٣؛ الطبري، ١٣٨٧هـ، ج٢، ص ٣١٣).

إلا أنّ هذا التقرير التاريخي محلّ تأمّل ونقاش؛ فبالنظر إلى الشواهد التاريخية، فإنّ احتمال كون جعفر عليه السلام تحت كفالة العباس قابل للنقض، إذ لم يكن أبو طالب عليه السلام قد بلغ من الفقر حدّاً يعجز معه عن إدارة شؤون أسرته، وإنّما كانت معاناته المالية متعلّقة بإكرام زوّار بيت الله الحرام. فضلاً عن ذلك، لو كان القصد مساعدة أبي طالب بسبب ضيق ذات اليد، لكان الأولى تقديم العون له مباشرة، لا إبعاد أولاده عنه.

وبناءً على ذلك، فإنّ وجود أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في بيت النبي صلى الله عليه وآله لم يكن بسبب الفقر المالي لأبي طالب، ويُحتمل أنّ إلحاق اسم جعفر إلى جانب اسم الإمام عليّ عليه السلام في هذه الرواية كان بقصد التشويش على خبر التحاق الإمام

عليّ عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله في طفولته، وهو التحاق لم يكن بدافع الحاجة المالية، بل لأسباب أخرى، منها تربية الإمام عليّ عليه السلام على منهج حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، والاستفادة من تعليمه وتربيته.

وفضلاً عن ذلك، يروي الإمام الصادق عليه السلام خبر مرافقة جعفر لأبيه عند بعثة النبي صلى الله عليه وآله، حيث يقول: «لمّا أُقيمت أوّل صلاة جماعة في الإسلام، كان جعفر عليه السلام يسير مع أبي طالب، فمرّا برسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلّي، وعليّ عليه السلام قائم عن يمينه مقتدياً به، فشجّع أبو طالب جعفر على أن يلتحق بهما» (ابن طاووس، بدون تاريخ، ج١، ص ٣٠٥). وربما يدلّ هذا الخبر على حضور جعفر في بيت أبيه.

٥-٤. القيادة

من الوقائع العسكرية التي حدثت في صدر الإسلام المواجهة مع الروم، ولا سيّما غزوتا مؤتة وتبوك، حيث استشهد جعفر عليه السلام ومعه قائدان عظيمان آخران، هما زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة. وفي هذه الوقائع كان الروم هم البادئين بالعدوان، إذ نهض المسلمون للثأر لدم سفير النبي صلى الله عليه وآله، وردّاً على الإهانة التي ارتكبها عامل هرقل المعيَّن من قبله.

وتفاصيل الحادثة أنّه في السنة الثامنة للهجرة قام شرحبيل بن عمرو الغساني من أمراء هرقل قيصر الروم على بُصرى القريبة من بلاد الشام باعتقال رسول النبي صلى الله عليه وآله الذي جاء بكتاب منه، ثم قتله صبراً. وفي السنة التاسعة للهجرة وردت الأخبار بأنّ قيصر عازم على الهجوم على شمال الجزيرة العربية. ولذلك كانت معركة مؤتة معركةً شديدةً وعنيفة، استُشهد فيها عدد من قادة جيش الإسلام، ومنهم جعفر عليه السلام (الواقدي، ج٢، صص٦٥٦ و٧٦١؛ ابن هشام، ١٤٠٩هـ، ص ٣٧٨؛ الطبري، ١٣٨٧هـ، ج٣، صص ٣٦-٣٩).

وبعد فتح خيبر وعودة جعفر من الحبشة، بعث رسول الله صلى الله عليه وآله في العام نفسه جعفراً قائداً أوّل للجيش المتوجّه إلى مؤتة لمقاتلة جيوش الروم الشرقية، وقال صلى الله عليه وآله:

«إن أُصيب جعفر، فزيد بن حارثة أمير الجيش، فإن أُصيب، فعبد الله بن رواحة». وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أنّ زيداً كان القائد الأوّل، وجعفراً القائد الثاني للجيش (الواقدي، ١٤٠٩هـ، صص ٧٦٢-٧٦٧).

وقد ورد في وصف خروج الجيش: «تحرّك الجيش بقيادة جعفر عليه السلام، فارتجّت الأرض تحت حوافر الخيل. وكان الجيش يسير أيّاماً، وكلّ واحد من الجنود في صمت الطريق الرتيب الخانق، يستحضر في ذهنه المدينة وأهله... ثمّ ساد السكون، فقام النبي صلى الله عليه وآله باستعراض الصفوف صفّاً صفّاً، ثم وقف أمام الجيش، فحمد الله تعالى وسلّم على الحاضرين، وقال: قد سلّمتُ الراية إلى جعفر، فهو القائد العام، فإن استُشهد فزيد بن حارثة من بعده، ثمّ عبد الله بن رواحة، وبعد الثالث فاختاروا أنتم - بالتشاور فيما بينكم - من ترضونه، فهو اختياري أيضاً. أستودعكم الله الواحد، فانطلقوا». فدوّى تكبير الجيش مرّةً أخرى، فكسر صمت السهل، وكان ذلك التكبير تكبير وداع وتعظيم (أعيان الشيعة، ١٤٠٦هـ، ج٢، ص ٣٢٤).

٥-٦. رَجَزُ جعفر عليه السلام

عندما اشتعلت نار الحرب في منطقة مؤتة، قام جعفر عليه السلام بتنظيم قواته تنظيماً دقيقاً من أجل أداءٍ أفضل، فعيَّن قائداً لكل فئة، وتولّى بنفسه قيادة الجيش، وظلّ يقاتل حتى آخر نَفَس. وكان يقتحم صفوف العدو بشجاعة، ويُشتّت جموعهم. وأثناء القتال كان ينشد أشعاراً حماسية ورجزات قتالية نابعة من روحٍ شجاعة وإيمانٍ راسخ، وممّا قاله:

«يَا حَبَّذَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا طَيِّبَةً وَبَارِدًا شَرَابُهَا
وَالروم روم قددنا كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا
عَلَيَّ إِذْ لَاقَيْتُهَا ضِرَابُهَا»

(ابن هشام، ١٤٠٩هـ، ص ٣٧٨).

وينقل الواقدي أنّه «لمّا أخذ جعفر الراية في معركة مؤتة، أتاه الشيطان فزيّن له الحياة الدنيا، وكرّه إليه الموت، فقال جعفر: الآن، وقد آنَ أن يثبت الإيمان في قلوب المؤمنين، تُرغّبني في الحياة الدنيا؟! ثم تقدّم حتى استُشهد». وقد صلّى عليه النبيﷺ في المدينة، ودعا له، وقال للمسلمين: «استغفروا لأخيكم جعفر، فقد استُشهد ودخل الجنّة، وهو يطير فيها بجناحين من ياقوت حيث يشاء» (الواقدي، ١٤٠٩هـ، ص ٧٦٠؛ ابن سعد، ١٣٧٤هـ، ج٤، ص ٣٠؛ ابن عساكر، ١٤١٥هـ، ج٦، ص ٦٧).

٥-٧. استشهاد جعفر عليه السلام

كما تقدّم، كان جعفر عليه السلام قائدَ الجيش وحاملَ راية المسلمين في معركة مؤتة. وقد قاتل العدو وهو صائم، وبطنه خاوية، فكان يزأر كالأسد، وقد ألقى الرعب في قلوب أعدائه. وكان جنود العدو يُعجبون بشجاعته في قرارة أنفسهم، فركّزوا عليه كلّ قواهم. وبعد قتالٍ عنيف وملحميّ، أُصيب بنحو تسعين جراحة، من طعنات الرماح وضربات السهام، فاستُشهد صابراً محتسباً وهو صائم. وقد قطع جيش الروم يديه من العضدين، وانتهى اليوم الأوّل من المعركة باستشهاد جعفر ذي الجناحين، فتولّى زيد بن حارثة قيادة الجيش، غير أنّه استُشهد هو الآخر في اليوم الثاني بعد قتالٍ شديد وبطوليّ (ابن هشام، ١٤٠٩هـ، صص ٣٧٨–٣٨١).

في اليوم الثالث من القتال تولّى عبد الله بن رواحة القيادة العامة للجيش. ويروي إسماعيل بن عبد الله بن أبي أُويس عن أبيه قائلاً: «شهدتُ معركة مؤتة، فلمّا فقدنا جعفراً، بحثنا عنه بين القتلى، فوجدناه وقد أصيب في مقدّمة جسده بتسعين ضربة أو يزيد، من طعنة رمح أو رمية سهم» (الواقدي، ١٤٠٩هـ، ص ٧٥٦؛ ابن سعد، ١٣٧٤هـ، ص ٣٠).

ولمّا بلغ رسولَ اللهﷺ خبرُ استشهاد جعفر، حزن حزناً شديداً، وذهب بنفسه إلى بيت جعفر، وتفقّد أبناءه، وقال: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً ثلاثة أيّام» (ابن هشام، ١٤٠٩هـ، ج٣، ص ٤٣٦؛ الواقدي، ١٤٠٩هـ، صص٧٦٦–٧٦٧).

كما قال النبيﷺ: «إنّ الله عوّض جعفراً عن يديه المقطوعتين جناحين، يطير بهما مع الملائكة في الجنّة»، ولذلك اشتهر بلقبي **الطيّار وذو الجناحين** (ابن سعد، ١٣٧٤هـ، ص ١٢١؛ ابن حجر، ١٤١٥هـ، ص ٣٠٩؛ ابن الأثير، بدون تاريخ، ص ٢٨٨؛ الحسيني، ١٤١٧هـ، ص ٣٥).

وبحسب القول المشهور، كان عمر جعفرعليه السلام عند استشهاده إحدى وأربعين سنة، واستُشهد في أرض مؤتة، ويقع قبره وقبور سائر شهداء مؤتة في منطقة تُعرف اليوم بمدينة «المزار»، في نواحي مؤتة، وهي من أعمال محافظة الكرك في الأردن (مرتضى العاملي، ١٤١٥هـ، ج٢، ص ٢٨).

النتيجة

إنّ تسليط الضوء على الشخصية الفردية والاجتماعية لجعفر بن أبي طالبعليه السلام يُظهر بوضوح أنّه يُعدّ من أبرز شخصيات الإسلام في صدره الأوّل، في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية للدين الإسلامي، وذلك في ظلّ قيادة خاتم الأنبياءﷺ. وتُبيّن مراجعة مصادر التاريخ العام أنّ جعفر بن أبي طالب، الذي كان من أهل بيت النبيﷺ وذوي قرباه، قد تميّز بخصال بارزة على المستويين الفردي والاجتماعي والأسري، وكان لاعتناقه الإسلام ودوره الفاعل في ترسيخ الإسلام ونجاحه وانتشاره أثر بالغ الأهمية.

وتُظهر المعطيات والنتائج التي توصّل إليها هذا البحث أنّ جعفر بن أبي طالبعليه السلام كان، قبل الإسلام، إنساناً فاضلاً، شجاعاً، ورعاً، ذا مكانة اجتماعية رفيعة. وبعد ظهور الإسلام، وفي مكة والسنوات الأولى من الدعوة، كان من المدافعين عن النبيﷺ، ومن المساندين للمسلمين في الشدائد والمحن. ولعلّ أبرز حدث في هذه المرحلة تولّيه كفالة وقيادة المهاجرين المسلمين إلى الحبشة، وهو الدور الذي شكّل نقطة تحوّل في إنقاذ المسلمين من ظلم الكفّار، وبداية مرحلة جديدة من حياتهم في إطار العالم آنذاك.

وقد أفادت كتب التاريخ العام بعودة جعفر إلى المدينة بعد فتح خيبر، وذكرتْه بوصفه أحد أبرز القادة والشخصيات المؤثّرة في تثبيت الإسلام وتوسيع رقعته. وفي هذه المرحلة، بذل جهوداً متواصلة في تبليغ رسالة النبيﷺ إلى الآخرين، ودعوة القبائل إلى الإسلام، وتوسيع الفكر الإسلامي ونطاقه الجغرافي.

وتشير آخر الروايات الواردة في كتب التاريخ العام حول جعفر إلى مهمّته الأخيرة بوصفه أحد أوفى أنصار النبيﷺ، حيث أدّى في آخر أدواره خدمةً للإسلام قائداً لجيش المسلمين في معركة مؤتة، فأبلى فيها بلاءً حسناً، وأظهر شجاعةً فائقة، وانتهى به المطاف إلى نيل الشهادة في هذه المعركة، فنال من النبيﷺ لقب «جعفر الطيّار» واشتهر به.

إنّ بيان شخصية جعفر بن أبي طالب في هذا البحث يُعدّ خطوةً أولى في التعريف بالشخصيات البارزة في تاريخ الإسلام، واستكمالاً للدراسات السابقة التي تناولت هذه الشخصية العظيمة من شخصيات صدر الإسلام. ومع ذلك، فإنّ جوانب متعدّدة من حياته الفردية والاجتماعية ما زالت بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة المتعمّقة؛ ومن ذلك: سيرته في تعامله مع رفاقه ومرؤوسيه، وأساليبه في التواصل مع النبي الأكرمﷺ، وتأثير شخصيته في سائر المسلمين في صدر الإسلام، ومكانته في روايات أهل البيتعليهم السلام، وهي موضوعات جديرة بالبحث والدراسة المستقلّة.

المصادر

* القرآن الكريم

** نهج البلاغة

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجوزي. (بدون تاريخ). الكامل في التاريخ. (ترجمة: عباس الخليلي). طهران: مؤسسة مطبوعات علمي.

ابن الأثير، علي بن محمد. (١٤٠٩). أسد الغابة في معرفة الصحابة. (طباعة: محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور). القاهرة: دار الكتاب العربي.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. (١٤٠٥هـ). صفة الصفوة. (ج٤). (تحقيق: قلعجي، محمد رواس، فاخوري، محمود). بيروت: دار المعرفة.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (١٤١٥هـ). الإصابة في تمييز الصحابة. (ج٧و١). (تحقيق: عبد الموجود، عادل أحمد، معوض، علي محمد). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن شهر آشوب المازندراني، محمد بن علي. (١٤٠٥هـ). مناقب آل أبي طالب عليهم السلام. (تصحيح وتعليق: هاشم رسولي محلاتي). بيروت: دار الأضواء.

ابن طاووس، علي بن موسى. (بدون تاريخ). الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف. (ج١). (تحقيق وتصحيح: علي عاشور). قم: نشر خيام.

ابن عبد البر، أبو عمر بن يوسف بن عبد الله بن محمد. (١٤١٢هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب. (ج٤). (تحقيق: علي محمد بجاوي). بيروت: دار الجبل.

ابن عساكر، علي بن حسن. (١٤١٥هـ). تاريخ مدينة دمشق. (طباعة: علي شيرى). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن قدامة، عبد الله. (١٤٠٨هـ). التبيين فى انساب القرشيين. بيروت: محمد نايف الدليمي.

ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل. (بدون تاريخ). البداية والنهاية. (تحقيق وتعليق: مكتب تحقيق التراث). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٤١٤هـ). لسان العرب. (تحقيق وتصحيح: جمال الدين ميردامادي). بيروت: دار الفكر.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك. (١٤٠٩هـ) السيرة النبوية. (إعداد: عمر عبد السلام التدمري). بيروت: دار الكتاب العربي. (١٣٩٤هـ). (ترجمة: هاشم رسولي محلاتي). (ج٢). طهران: المكتبة الإسلامية.

ابن‌سعد، محمد. (١٤١٠هـ). الطبقات الكبرى. (ج٤). (تحقيق: محمد عبد القادر عطا). بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين. (١٣٨٥ش). مقاتل الطالبيين. (تحقيق: سيد أحمد صقر). بيروت: دار المعرفة.

أبو الفرج الحلبي الشافعي، نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد. (١٤٢٧هـ). السيرة الحلبية. (ج٣). بيروت: الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.

أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله. (١٣٨٧ش). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. (ج١). (تحقيق: شفيعي كدكني، محمد رضا). القاهرة: دار أم القراء للطباعة والنشر.

أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله. (١٤١٢هـ). دلايل النبوة. دار النفائس.

الأزهري، محمد بن أحمد. (١٤٢١هـ). تهذيب اللغة. (ط١٠). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الأمين العاملي، السيد محسن. (١٤٠٦هـ). أعيان الشيعة. بيروت: دار التعارف للمطبوعات.

البغوى الفرّاء، أبو محمد حسين بن مسعود. (١٤٢٠هـ). تفسير البغوي (ج٤). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البلاذري، أحمد بن يحيى. (١٣٩٤ش). أنساب الأشراف. (تحقيق: محمد باقر محمودي). بيروت.

الحسيني، أحمد بن علي. (١٤١٧هـ). عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب. قم: أنصاريان.

الذهبي، محمد بن أحمد. (١٩٦٠م). سير أعلام النبلاء. (تحقيق: شعيب الارناؤوط). القاهرة: مؤسسة القاهرة.

الذهبي، محمدبن أحمد. (١٤١٣هـ). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. (تحقيق: عمر عبد السلام التدمري). بيروت: دار الكتاب العربي.

ساسان‌پور، شهرزاد. (١٣٩٢ش). منابع تاريخ‌نگاری ایران در دوران تیموریان، پژوهش‌نامه تاریخ، السنة الثامنة (٣٠).

شوشتري، محمد تقي. (١٤١٠هـ). قاموس الرجال. (ط. الثانية). قم: رابطة المدرسين في الحوزة العلمية.

شوشتري، نور الله بن شريف الدين.(١٣٧٧ش). مجالس المؤمنين. (ج١). طهران: إسلاميه.

صفا، ذبيح الله. (١٣٧٥ش). تاريخ ادبيات در ايران. (ج٥). طهران.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (١٣٨٧هـ). تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري). (ج٢). (تحقيق: إبراهيم، محمد أبو الفضل). بيروت: دار التراث.

العاملي، السيد جعفر مرتضى. (١٤١٥هـ). الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله. بيروت.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين. (ط. الثانية). (تحقيق وتصحيح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ١٤١٠هـ). قم: هجرت.

قرائتی، محسن. (١٣٧٤ش). پرتوی از اسرار نماز، طرح اقامه نماز.

المجلسي، محمد تقي. (١٤٠٣هـ). بحار الانوار. (تحقيق وتصحيح: مجموعة من المحققين). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مجموعة من المؤلفين. جاد المولى، محمد أحمد. (١٣٤٧ش). قصص قرآن (تاريخ كامل انبياء از آدم تا خاتم النبين). (ترجمة: محمد آفتابي). نشر فراهاني.

معماريان، محمد مهدى. (١٣٩٣ش). جعفر طيار عليه السلام، مردى كه اگر مى‌بود. قم: بيت الأحزان.

مقدسي، ضياء الدين. (٢٠١٣م). من مناقب جعفر بن ابى طالب. جامعة المدينة العالية.

الواقدي، محمد بن‌عمر. (١٤٠٩هـ). المغازي. (تحقيق: مارسدن جونس). بيروت: مؤسسة الأعلمي.

اليعقوبي، أحمد بن إسحاق. (١٣٧١ش). تاريخ اليعقوبي. (ج١). (ترجمة: محمد إبراهيم آيتي). طهران: شركة علمي وفرهنگي للنشر.